مقام الحقيقة المحمدية وأدوارها في كتابات الشيخ أحمد العلاوي

The spiritual station of mohammadian Reality and its roles in writings of Cheikh Ahmed Al-Alawi

د. رزقي بن عومر*

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2- الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2018/11/28 **تاريخ القبول: 2018/12/28** **تاريخ النشر: 2018/12/31**

الملخص:

نتناول في هذا المقال الحقيقة المحمدية كمقام روحي مهم في الكتابات الصوفية، بحيث يعد مطلبا تكامليا لدى الصوفية، عبر عنه كبار الصوفية بالبرزخ الكبير والعقل الأول، والصادر الأول. تناول الشيخ العلاويالحقيقة المحمدية في كتاباته، بالتعريف والتحقيق وعرض كمالاتهالغرض تعليم السالكين كيفة التأدب مع هذا المقام وتحصيله ذوقيا، تناولنا في دراستنا هذه، الشرط الذي يضعه الشيخ العلاوي والصوفية لمعرفة هذا المقام والذي يتمثل في الذوق، وتناولنا أهميتها الوجودية والسلوكية المعرفية، كما وقفنا على أهم الأسماء والمواصفات التي أعطاها الشيخ العلاوي لهذا المقام.

كلمات مفتاحية: وجود؛علاوي؛ الحقيقة المحمدية؛ مقام؛ عرفان.

Abstract:

In this article, we examine the Mohammadian reality as an important spiritual station in the Sufi writings, so that it is a requirement of graduation in sufism, the great sufis called it as the first Issued from divin being. CheikhAl-Alawi has treated its definition and truth in order to educate the followers of the Sufi way how to respect and realize it. in ourselves spiritually, we have studied the method that Cheikh Al Alawi and the Sufis have imposed on him to know this maqam which is characterized by realizing it in us spiritually. And we studied its metaphysical and spiritual and cognitive importance.

Keywords: Being; Alawi; Mohammadian reality; spiritual station; gnosis.

* الباحث المُرسل: ben.rezki@yahoo.fr / مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

مقدمة:

تُوضح في المقدمة إشكالية البحث وأهم الأسئلة الدَّالة عليها، وكذا الفرضيات التي سيعمل الباحث على اختبارها. لا يتميز عرفان الشيخ العلاوي، عن غيره من المعارف التي تحقق بها سابقوه من كبار الصوفية، فهو قد بلغ مبلغا عظيما، يجعله في مقام الكاملين في مقام الولاية ولا شك أن أمثال هؤلاء يمتلكون قدرة كبيرة على تمييز المراتب الروحية بعد التحقق بها، ولعل أهم المقامات التي يتحقق بها العارف حالة وصوله هو مقام الحقيقة المحمدية فيشاهدها عيانا في ذاته غير منفكة عنه لذا فهو في هذه الحال لا يحكي إلا عن ذوقه أو قل عن روحه المتحدة بمقام الروح المحمدي، هذا شأن الشيخ العلاوي في كتاباته كما هو شأن كبار العارفين أمثال الشيخ محيي الدين ابن العربي والجيلي والمير عبد القادر، نحن سنحاول أن نكشف عن المفاهيم التي لبسها الشيخ العلاوي لهذه المرتبة الوجودية واهم اكتشافاته العرفانية.

1. ماهية الحقيقة المحمدية

مصطلح الحقيقة المحمدية، رغم ظهوره المتأخر في التراث الإسلامي، إلا أن "المفهوم الذي يدل عليه هذا الاصطلاح، يعد واحدا من أكثر المفاهيم أصالة وعمقا، ونعني به المفهوم الذي يرمز إليه بالنور المحمدي أو نور محمد"[1]، لذا واجه هذا المفهوم تهجما من قبل التيار الظاهري في الإسلام سيما ابن تيمية، لذا ورد في مواقف الأمير عبد القادر الجزائري، ذكر موقف ابن تيمية باعتبارها حالة وخلفية لا مجرد موقف شخصي: "من لم يكشف له سر الحقيقة المحمدية ربما يقول ما قال الحافظ ابن تيمية رحمه الله، لما وقف على شفاء عياض "لقد تغالى هذا المغيربي". "[2]، في إشارة إلى الفهم السطحي لكلام العارفين بالله الذي يظهر منه - بسبب الاقتطاع في القراءة – تأليه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من خلال ما يضفى عليه من معاني الوجوب والكمالات التي تستحقها الذات الإلهية، نحن نعتبر أن مشكلة ابن تيمية وغيره من المحتجين على التصوف في مثل هذه الحقائق كالحقيقة المحمدية والإنسان الكامل والقطب والولاية سببها كلامي بالأساس لأن مشكلتهم أنهم طبقوا منهج الجدل في قضايا تستعصي على العقل بل أولوا نصوص القرآن وحملوها دلالة طبقوها على مخالفيهم وادعوا أن القرآن يخالف ما

[1] شودكيفيتش، علي، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، ترجمة: أحمد الطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2004، 89.

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، نقلا عن: شودكيفيتش، علي، المرجع نفسه، ص 95.

ذهب إليه أهل التصوف بينما الحقيقة أن قراءتهم تخالف قراءة الصوفية للحقائق وهنا نكون أمام تقابل فهمين لا تقابل النص قرآني مع الفهم الصوفي.

المقصود بالحقيقة المحمدية "التعين الأول الذي ظهرت منه النبوة والرسالة والولاية، ونشأت عنه جميع التعينات ولأجل ذلك كان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام سيد الوجود وأصل كل موجود، وهو أول الأولين وخاتم النبيين المختص بالاسم الأعظم الذاتي الذي لا يكون إلا له دون جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث أنه المرجع الأصلي لجميع التعينات"[1]، إذن الحقيقة المحمدية هي النور الفائض من الذات، وهو أول خروج عن الوجوب والإطلاق إلى التعين، مرتبتها في الوجود هي الثانية بعد مرتبة الأحدية وتسبق مرتبة الواحدية، محتدها مرتبة الوحدة، لذا كانت برزخ البرازخ. ومادامت هي التعين الأول فإنها أصل عالم الخليقة، "وقولنا هو المتحقق الواحد، لأنه هو أول مظهر ظهرت به الذات أو تقول: أول متعلق للأسماء والصفات، فله في البطون بقدر ما له في الظهور، وفي الأولية ما في الآخرية ولهذا كان الواسطة العظمى بين الحق وخلقه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **كنت نبيا وآدم بين الماء والطين**. وبعثته تأخرت في الأشباح، ليجمع بين الأولية والآخرية"[2]، بل هي الحق المخلوق به كما نعتها الشيخ محيي الدين ابن عربي.

قد نجد بعض الكتابات لا تميز بين الحقيقة المحمدية ومرتبة الإنسان الكامل لأن جميع المواصفات التي تعطى للأول تنطبق على الثاني، مما يدفع إلى القول بأن الحقيقة المحمدية يعبر عنها بوجوه عدة على حسب الاعتبار، مثلما هو الأمر فيما يخص العقل الأول فيقال له القلم الأعلى، ويقال له نون... وهكذا، فلا غرابة إن وجدنا الشيخ عبد الكريم الجيلي يعطي للإنسان الكامل مواصفات تليق بالحقيقة المحمدية مما يعني أن الإنسان الكامل هو مظهر الحقيقة المحمدية، فالإنسان الكامل له عدة مواصفات تلتقي كلها في نعوت الكمال والجمال والجلال، "به تمت المراتب وكمل العالم وظهر الحق تعالى لظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته فالإنسان أنزل الموجودات مرتبة وأعلاهم مرتبة في الكمالات فليس لغيره ذلك، وقد بيناه أنه الجامع للحقائق الحقية والحقائق الخلقية جملة وتفصيلا حكما ووجودا بالذات والصفات لزوما وعرضا حقيقة ومجازا، وكلما رأيته أو سمعته في الخارج فهو عبارة عن رقيقة من رقائق الإنسان أو اسم لحقيقة

[1] رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1999، ص 300- 301.

[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط3، 1991،ص 27.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

من حقائقه، فالإنسان هو الحق وهو الذات وهو الصفات وهو العرش. . . . وهو الحق وهو الخلق"[1].

مضمون المتن يعكس العنوان المقترح من طرف الباحث، ويعرض فيه مختلف مراحل بحثه بشكل منهجي ومنطقي حسب ما يتطلبه العنوان. مضمون المتن يعكس العنوان المقترح من

2. ذوق الحقيقة المحمدية

تعد الحقيقة المحمدية في الأدبيات العرفانية من المعارف المشروطة بالذوق، لأنه مقام روحي لا يمكن إدراكه إلا بالوصول إليه، بل كما يرى الشيخ العلاوي وكل الصوفية أن كل المقامات الروحية والمراتب الوجودية لا يمكن تصورها ولا عرضها نظريا، فالسبيل الوحيد لتحصيلها هو السلوك والذوق وهذا السبيل الوحيد وما عداه يعد دخولا من غير الباب المشروع، "العلماء بالله، فإنهم عرفوا الأشياء من أصلها ودخلوا البيوت من أبوابها، فكشف لهم عن حقائق الذات الجامعة لسائر الأسماء والصفات فعرفوه سبحانه وتعالى على الوجه اللائق بجلاله، وكانت معرفتهم ناشئة عن مكاشفة وعيان، لا عن دليل وبرهان، وهؤلاء يحق اتصافهم بالعلم، لأن العلم هو إدراك المعلوم على ما هو عليه إدراكا كشفيا. . . ومن لم يصل إلى رتبتهم لا يتصف بالعلم"[2].

خصوصية العرفان تتطلب هذا المسلك أي السلوك وفق طريق عملي أساسه الذكر وتدرج روحي عبر مقامات غير قابلة للفهم والتصور وإلا فكل سالك هو شيخ نفسه وتتعطل التربية الإلهية بواسطة الشيخ، "العرفان المتداول، ينصب الاهتمام فيه على السير والسلوك المعنويين وعلى الذوق والعيان من أجل بلوغ الحقيقة والوصول إلى مرحلة الكمال. ولا أهمية فيه للبحث والاستدلال، أو النظر والبرهان"[3]. ويجعل الشيخ العلاوي تداول الحقائق العرفانية لا يمر إلا من طريق الذكر والذوق لا التصور والتعقل فيحذر المريدين من طلب معرفة الحقائق من خلال السؤال عنها وبالمقابل ينصح حتى المتحققين من إجابة فضول المريدين وغير الواصلين: "ومن النصيحة أن لا يجيب المنتهي المبتدئ حالة سيره عن مثل ما حجب عنه، لئلا يأخذ ذلك علما ويستغني عن الذوق، وينقطع عن الزيادة كما هو مشاهد في زماننا، حتى صارت طريق القوم تؤخذ من

[1] عبد الكريم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 62.
[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن، المطبعة العلاوية في مستغانم، ط5، 1997، ص75.
[3] غلام حسين الإبراهيمي الديناني، إشراق الفكر والشهود في فلسفة السهروردي، دار الهادي، بيروت، ط1، 2005، ص 34.

الأوراق. . . وكل ذلك وقع لهم بسبب تعلم المذاكرة في الطريق بدون أن يطلبوا ما وراء ذلك من التحقيق. . . ومثل من أراد أخذ علم القوم من الأوراق كمن أتى إلى الإنسان وقال له: أريد حج بيت الله الحرام، فقال له: سيقرأ عليك فلان المناسك ويجزيك عن زيارتك للبيت. . . فإياك أيها المريد أن تتكلف الكلام بالمقام قبل أن تصل إليه فتنقطع عنه بسبب معرفتك لألفاظه"[1].

ولعل واحدة من أهم الحقائق والمراتب الروحية الحقيقة المحمدية فهي لا تشذ عن جميع حقائق العرفان بحيث لا يمكن تحصيلها نظريا ولا فهمها بالتفكير والتصور كما أن الوصول إليها ليس بالسهل إذ يصف الشيخ الحراق، صعوبة الوصول إليها عند السالكين وأن التحقق بها لا يكون إلا بالتجرد من الكون:

"فكيف يرى خلق حقيقة أحمد؟	***	ولكن يرى ظلا من البشرية
لأنه صون السر بل سر صونه	***	وللأنوار طرا من سناء استمدت
عليه يدور القطب وهو بسره	***	يدور عليه الكون في كل لمحة
ترى حكمه بالله في الخلق نافذا	***	لأنه صار فيهم أصل نشأة
وأصل وجود الشيء رحمة نفسه	***	لذلك كان رحمة للبشرية
ورحمته من رحمة المصطفى أتت	***	لأنه سر من سر عين الرحمة"[2].

مضمون المتن يعكس العنوان المقترح من طرف الباحث، ويعرض فيه مختلف مراحل بحثه بشكل منهجي ومنطقي حسب ما يتطلبه العنوان. مضمون المتن يعكس العنوان المقترح من

3. محل الحقيقة المحمدية من الحروف:

في تفسيره التحقيقي لحروف البسملة من خلال رسالته العرفانية "الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد"، يجعل الشيخ العلاوي الحقيقة المحمدية محلها من الحروف حرف الباء في الأبجدية لمباشرتها في الرتبة حرف الألف حيث يشير حرف الألف إلى مرتبة الألوهية " إن الباء هي أول صورة ظهر بها الألف، ولهذا تجلى فيها بما لم يتجل في غيرها، أي بصفتها الخاصة وسبب ذلك عدم الواسطة بينهما، وما قارب الشيء يعطي حكمه. . . وقد يظهر في القريب ما لا يظهر في البعيد"[3].

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية،ج 1، 1989: 99-100.

[2] عبد الحق الكتاني، المحب المحبوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006، ص 29- 30.

[3] أحمد بن مصطفى العلاوي، منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن، ص 38.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

فكما ظهرت الألوهية بالحقيقة المحمدية تسترت الأولى بالثانية، في إشارة إلى علو النقطة في الألف وكونها ظاهرة تحت الباء، وهذا ترجمة عن الظهور والبطون في حق الذات الإلهية، "والنقطة ظهرت بالألف وتسترت بالباء، كانت هي فوق الألف، وكانت الباء فوقها، فوجود الباء فوق النقطة شبه وجود الجدار على الكنز الذي أخافه الخضر أن ينقض، ولهذا قيل في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حجاب الله الأعظم القائم ين يديه"[1].

وكذلك الحقيقة المحمدية بها ظهر الإسم **الله** وترجم ذلك في البسملة من خلال البداية بالباء لا الألف كون الألف يمثل الإسم الله، "كانت الباء في البسملة قبل الألف، وحذف الألف لدلالتها عليه فبقيت الباء دون ألف، كأنها تقول بي اسم الله، فضميرها يشير للاسم قائلا: أنا أظهرتك كما أنت أظهرتني. . . ولهذا يقال إن بسم الله من العارف ككلمة كن من الحق عز وجل، لأنها كلمة أثبتت المفعول وضمير الباء أثبت الفاعل، وضميرها هو ضمير الإنسان الكامل، أو نقول روح الوجود. وكل ما أضمرته الباء فهو من لوازم الشكر"[2].

4. مقام النور المحمدي:

كان كل نبي له لقب يعكس حقيقة مقامه من الحق تعالى، فمثلا ابراهيم عليه السلام فاز بالخلة وموسى عليه السلام فاز بالتكليم فكان كليم الله وعيسى عليه السلام كان بمثابة روح الله تعالى، وهكذا كل نبي حصل على مقامه بفعل جهده في سبيله إلى الله تعالى، وكان حظ سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام من ربه مرتبة المحبة، وهي من أعلى المقامات وأجمعها وهذا المقام لعظمته وشدة نورانيته يعسر على الكثير سيما العارفين بالله والأولياء الثبات فيه غلا بتثبيت الحق تعالى لهم وقد حصل الرسول الأعظم صفة السبق في حفظ المقام والجدارة به فكان مفيضا لغيره في شأنه.

في معرض تفسير الشيخ احمد بن مصطفى العلاوي لسورة النجم وسيما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾: "أي أنه لا يفشي ما أكنه فؤاده من أسرار المحبة التي خصص بها دون بقية البشر، وقد قل من يطيقها. . . وقد كان له منها عليه الصلاة والسلام أوفر نصيب حتى لقب بالحبيب، ومع ذلك لم يظهر عليه ما يؤذن بالجفاء، لأن

[1] المرجع نفسه، ص 40.
[2] المرجع نفسه، ص 41.

المحبة منوطة بعدم إفشاء سر المحبوب. . . عيسى عليه السلام لاح عليه ما لاح على محمد من أنوار الحضرة الإلهية والاختطافات القلبية، إلا أن محمدا كان قويا في حمل الأسرار على غيره، لم يظهر منه ما تستبعده الأفكار بسبب تعليم الحق له سبحانه وتعالى كيفية حمل الأسرار وهو قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ﴾ أي علمه القوي المتين. . . لكي يكون محمد قويا متينا في حمل الأسرار، ومدح المعلم مدح للمتعلم"[1].

نال سيدنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم المقام العالي من المعرفة لأنه كما ورد في توصيف الشيخ العلاوي له من خلال شرحه للصلاة الحبيبية، و"لايقف مع شيء دون شهود جمالك، فتعطف عليه وتقرب وتعرف له، وتجل عليه بسائر أنواع كمالاتك الذاتية، الكائنة في جميع تجلياتك الفعلية، أو نقول الحسية والمعنوية، وأدم له ذلك، ومتعه وآمنه في طروء ذلك التجلي عليه، حتى لا يخرج بحصول مطلوبه منك عن مطلوبك منه، وهذا هو اللطف والحفظ المحتاج إليه كل واصل أشد احتياج"[2].

هذا في استحقاق سيد الخلق عليه الصلاة والسلام للتحية الكاملة أي الصلاة المشفوعة بالسلام، فالصلاة حقيقتها التجلي الذاتي بجميع الكمالات الذاتية، والسلام الحفظ والأمان حين التجلي لعظمة المقام وقوته.

ومن كمال نوره صلى الله عليه وآله وسلم أن مطلبه من الكمالات لا يتناهى لذا فإن الصلاة في معناها التجلي المتنوع بأنواع الكمالات، إذ يشرح الشيخ العلاوي الصلاة الحبيبية في قوله بأنواع كمالاته قائلا: قوله **"بأنواع كمالاتك"** جمع نوع وهو غير منحصر بإضافته للألوهية، لأن كمالاته تعالى لا تنتهي، ولهذا سأله تعالى أن يتعرف لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنواع كمالاته، حتى يكون ما من كمال ظهر له به، إلا وما بعده أكمل منه، وفي الهمزية للنبهاني:

لم تزل فوق كل فوق مجدا * بالترقي ما للترقي انتهاء**

وهكذا إلى ما لا نهاية له. . . والتجليات طبق الكمالات، فهي أيضا لا تنتهي سواء بسواء. . . مع رجوعها للأفعال، وأحرى بإضافتها للذات والصفات"[3].

مقام سيد الوجود صلى الله عليه وآله وسلم من الوجود مقام رفيع ترتفع فيه الوساطة بينه وبين مبدئه تعالى، إذ هو صلى الله عليه وآله وسلم "أول الأنوار الفائضة

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن، ص ص 56-57.
[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار، ص 17.
[3] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار، ص ص 21-22.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

من بحر عظمة الذات، فنستفيد من ذلك، أنه أول نور تفجرت به ينابيع الظهور، قال صلى الله عليه وآله وسلم أول ما خلق الله تعالى نوري. ومن ذلك النور تفرعت الأنوار، وتطورت الأطوار"[1].

في التوحيد الخاص الذي يعبر عن العقيدة الصوفية لا مجال للثاني مهما كان فالكل هو واحد والواحد لا يتناهى في وحدانيته مما يفرض عدم الثاني، ففي الوجود نحن أمام واحد ومثالاته أو تجلياته فلا غير حقيقي إطلاقا، وإذا عبرنا عن الوجود بالنور من حيث أن حقيقة النور الظهور والإظهار بلا آلة تساعد ذلك ذلك أن النور ظاهر بذاته فيكفي أن يكون ليظهر بذاته ويظهر ما غيره، وبهذا الاعتبار لا مجال لثاني معه فإما نور وإما ظلام والظلام نفي محض وليس بوجود أي عدم والعدم لا يشكل الثاني، وكلما ابتعدنا عن مصدر النور تمثلنا مرتبة عنه تقل وتزيد بحسب البعد والقرب، هذا في النور الحسي والنور المجرد أولى بهذه الحقيقة ومن هنا كل ما تمثلناه نورا هو مرتبة تنزل النور الواحد الساري عبر المراتب أو قل الظاهر في المراتب.

عندما يتعلق الأمر بالنور المحمدي فلا يمكن التعامل معه غيرا للنور الإلهي المجرد، بل هو النور الإضافي، "وأما النور الإضافي المعبر عنه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد مثله بقوله (مثل نوره كمشكاة) النور: 35. فنوره هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلهذا وقع التشبيه على المضاف، لا على المضاف إليه الذي هو النور الأول، فسلمت من ذلك مرتبة التنزيه من ان يماسسها شبيه، وإن كان التنزيه عين التشبيه من حيث (أينما تولوا فثم وجه الله) البقرة: 115. فلا بد من أخذ المقام مقتضاه، ولو وقع التشبيه على النور المجرد، لاستغنى بذكر الضمير عن ذكر المضاف والمضاف إليه"[2].

فمثلية النور المحمدي للنور الإلهي جاءت من فعل التنزل والتنزل يؤكد الوحدانية ويطرد الثنائية من التصور بهذا الاعتبار يكون النور المضاف أو النور الإضافي هو تعين للنور المجرد ظهور له في مرتبة التشبيه ولا نور في الحقيقة إلا النور الظاهر الذي هو المجرد، "مثل نوره المتنزل به المسمى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم المضاف لذلك النور المجرد، كمشكاة فيها مصباح من سر الله للزوم قيوميته بكل جوهر وعرض. . .

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص 22.
[2] المصدر نفسه، ص 23.

والملخص من ذلك أن ما تكثف من النور المحمدي أشار له بالمشكاة، وما تلطف منه أشار له بالمصباح، والمصباح نور للزجاجة والمشكاة"[1].

وهو علة كل موجود فاض عن الحق بفعل التجلي:"الحاصل أن جميع ما تدفق من الفيض الأقدس، المتنوع بالمعنى والحس، أساسه النور المحمدي، ومنه تشعبت سائر الأنوار التي من بعضها السموات والأرض، ولا نستبعد ما نراه من صلابة الحس، أن يكون ذلك بعضا من شعاع القدس، فالتغير واقع من ضعف الأبصار"[2].

نظرا لتمكنه من البرزخية العظمى كما كان علة كل موجود فمعرفته باب لمعرفة الحق تعالى، بل كل معرفة معلولة لمعرفته صلى الله عليه وآله وسلم، "جاء في الخبر (حجابه النور) فبسبب ظهور النور الإضافي، احتجب النور المجرد، ولا يرى النور إلا في النور، ولا يدرك البطون إلا في الظهور. قال صلى الله عليه وآله وسلم (من رآني فقد رأى الحق) أي من عرفني فقد عرف الحق، ولا يعني برؤيته الذات المسماة بمحمد بن عبد الله، بل يومئ لحقيقته المتدفقة من بحار عظمة الذات، لأنها محل ظهوره تعالى"[3].

برزخية الحقيقة المحمدية أعطتها مقام قاب قوسين أو أدنى كما ورد في سورة النجم حيث وصل النبي (ص) في القرب من ربه إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، والقوسان هما قوس الوجوب وقوس الإمكان، فقوس الوجوب يشتمل على الأسماء الإلهية والنسب الأصلية. أما قوس الإمكان، فيشتمل على الحقائق الكونية وصورها الإمكانية، وهذان القوسان متلازمان لا يتصور أحدهما بدون الآخر وجودا وتقديرا. القوس الأول يمثل حضرة الألوهية الجامعة لكل الأسماء الإلهية، والقوس الثاني يجمع كل المظاهر الخلقية في الحضرة الكونية، والحقيقة المحمدية البرزخية تجمع بين الحقائق الحقانية الوجوبية ونسب الأفعال والأسماء الإلهية والربوبية، وبين الحقائق الإمكان والأعيان[4].

5. الحقيقة المحمدية والسلوك الصوفي:

عندما نتحدث عن المراتب أو الحقائق في التصوف نحن لا نتحدث عن مفاهيم تعلم لتبقى في الذهن نحتاجها عندما نريد ان نفسر أمرا أو أن نفهم ظاهرة معينة أو نستعمل العلم بها لغرض تسهيل أمر أو تسخيره مثلما هو الأمر في العلوم الحصولية، فمثلا في

[1] المدر نفسه، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

[3] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص 26.

[4] أنظر: بهاء الدين بن عبد الغني البيطار، فتح الرحمن الرحيم، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2010، ص 74، وص 78.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

هذه العلوم –أقصد الحصولية - الهدف من التعلم فيها هو صيرورة الإنسان عالما عقليا مظاهيا للعالم الخارجي، وبالمعنى الحديث التمكن من معرفة قوانين حقيقة ما لغرض التحكم فيها من خارج، لأن طبيعة الأشياء والحقائق في العلوم الحصولية تتميز بالفصل والإنفصال، أما في العرفان فالأمر على خلاف العلوم التحصيلية، ذلك أن حقائقه تتميز بالوحدة ورفع الهوة بينها لذا نقرأ دائما خطابات التصوف تنبهنا على خاصية الذوق.

والتحقق بمعنى العلم بالشيء أو بأي حقيقة في العرفان لا يكون بالتحصيل الذهني بل معاينة المعلوم والفناء فيه حتى يكون المعلوم والعالم أمرا واحد وهكذا شأن الأمور في الحقيقة، وهذا الاتحاد ليس معناه انقلابا في الحقائق كما يتصور، لأن انقلاب الحقائق محال، وإنما ارتفاع وهم الانفصال، واعتبار أن الجهل بالشيء ليس غيبة الشيء عنا وإنما غيبتنا نحن عن حقيقة الأمر الذي هي انطواء كل الحقائق في ذات الإنسان وفي ذات كل موجود، ما دام الموضوع هو موضوع تنزل وتعين الحقيقة الواحدة عبر مراتب الوجود، وما العلم بها إلا تجل تلك الحقائق في ذات المتحقق.

بناء على هذه المقدمة النظرية نستطيع فهم الحقيقة المحمدية وهل يمكن التوصل إليها والتخلق بأخلاقها أم تبقى مجرد موضوع للنظر الفكري، ثم كيف يتوصل إليها؟

رسم التصوف طريقا للكمال والعروج إلى مبدإ الوجود الحق تعالى، وهذا العروج ليس إلا التحلي بالكمال اعتمادا على منهج تربوي أساسه التخلية والتحلية والتجلية، يسميه البعض التزكية، بمعنى إدخال الذات الإنسانية في مجال الصفاء لتلقي الحقائق وانكشافها في صفحة وجود السالك، ولعل من أهم المراتب وأكملها التحقق بالحقيقة المحمدية أو التحقق بمرتبة الإنسان الكامل والذي ليس غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فـ" حقيقة المصطفى (ص) هي حقيقة كل فرد من أفراد الوجود حتى إذا كشفت براقع وجهها وظهر نور جمالها يتحقق العارف حينئذ بالحقيقة المحمدية"[1]، ومسألة التحقق بها تصل إلى درجة الفناء فيها، إذ يضيف سيدي بن عليوة: "وقد يقع الفناء لبعض المريدين في هذه الحضرة حتى يصير يتكلم على لسان صاحبها عليه الصلاة والسلام، كما وقع لأغلب العارفين، وذلك لمحوهم فيها"[2]، فلا نستغرب خطاب الكثير من العارفين الذي يظهر فيه تمثل هؤلاء بالحضرة المحمدية فيصبح فانيا في ذات رسول الله

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط2، 1998، ص 331.

[2] المصدر نفسه، ص 364

ويسري فيه الكمال المحمدي المكمل لكل سالك، إلى درجة أن بعضهم حكم على ردته إن فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزيادة الرسوخ فيها يمكن العارف من القرب من الله حتى كما يورد اشيخ العلاوي يصير دعاؤه لا يرد وذلك بإضافة صاحب هذه الحقيقة عليه الصلاة والسلام، ومن هنا نرى أن من أركان الدعاء عند العارفين بالله التوسل برسول الله والتوسل بالصلاة عليه، بل جعل الكل الصلاة على رسول الله معراجا يتوصل به إلى مقام القرب.

كما جعلت الحقيقة المحمدية براقا للعروج إلى معرفة الله تعالى بل هي المركب الأسلم لذلك، ومن أجل ذلك يتخذ السالكون إلى الله محمدا (ص) معراجهم يتوصلون به لبعض مكنونات الألوهية وحقائق الرسالة، بل" الوجود كله مثال موصل لأسمائه تعالى وصفاته وعظمته. . . وهذا من حيث حقيقته النورانية المتنزلة من ربهم المعبر عنها بالحقيقة المحمدية، فهي مرآة ظهور الحق، فمن نظر فيها وقعت بصيرته على وجود الحق"[1].

موضوع الحقيقة المحمدية، يكاد لا يخلو منه تحقيق عرفاني، فكل عارف في كل عصر كما يستوفي مقام الألوهية حقه من المعرفة، فيجب عليه إتمام سيره بمعرفة نور المصطفى (ص)، المعبر عنه بالحقيقة المحمدية، فمثلا ورد ذكره عند أوائل العرفاء مع الحسين ابن منصور الحلاج، وذلك في طواسينه، إذ يعبر عنه بقوله: "أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر، وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم، همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم"[2]، يحكي الحلاج عن أزلية نور النبي محمد (ص)، الذي يظهر في حقيقة كل نبي، وجعل الحلاج مرتبته سابقة على قلم الإيجاد، أي العقل الأول، ويقول عنها الشيخ العلاوي بأنها عين الذات الإلهية الظاهرة في العالم، وهي فرع الألوهية ونور الإنسانية:

"حير لي بالي قطب الجمال	***	عين الكمال هو المرام
سر الحياة نور الصفات	***	حصن النجاة دار السلام
قصدي بغيتي خمري نشوتي	***	عين الذات في ذا العالم
فرع اللاهوت نور الناسوت	***	في الرحموت له مقام

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، ط2، 1995، ج1، ص88.

[2] الحلاج، حسين ابن منصور، ديوان الحلاج ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص 94.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

كنز المعاني سر الأواني *** روح الأكوان قلت نعم"[1]

حقيقته محمد (ص) هي الحجاب الأعظم والنور الأبهر والنور الإضافي الذي يحجب النور المجرد المتمثل في النور الإلهي، لذلك فلابد من النور المحمدي للولوج على الحضرة الإلهية " قلت وذلك النور هو المانع من ادراك الكنهية فحجابه تعالى هو ظهوره فمن شدته اختفى. جاء في الخبر (حجابه نور) فبسبب ظهور النور الإضافي احتجب المجرد، ولا يرى النور إلا في النور. . . قال(ص) من رآني فقد رأى الحق، أي من عرفني فقد عرف الحق، ولا يعني برؤيته الذات المسماة بمحمد ابن عبد الله، بل يومئ لحقيقته المتدفقة من بحار عظمة الذات، لأنها محل ظهوره تعالى "[2]. وكونها صدرت من بحار عظمة الذات أي أن حقيقة الحقيقة المحمدية هي نفسها التجلي الأحدي، باعتبار أن الأحدية هي برزخ بين البطون والظهور وذلك كما قال عبد الكريم الجيلي: "عبارة عن حقيقة الحقيقة المحمدية التي هي فلك الولاية المعبر عنها بمقام قوسين أو أدنى. . . أحدية الجمع بإسقاط جميع الاعتبارات والنسب والإضافات وبطون سائر الأسماء والصفات وقد يسميه بعضهم بمرتبة الهوية. "[3] فلأن أصل الحقيقة المحمدية هي بحار عظمة الذات حازت على البرزخية العظمى فجمعت بين الحق والخلق، "إذا تحقق بالحقيقة المحمدية يكتفي بها عن الالتفات لغيرها لاجتماع العوالم فيها من حيث ظاهرها وباطنها حتى لو تحققت وتأملت في اسم صاحبها لوجدت هناك إشارة جلية في قولنا "محمد رسول الله" فمحمد هو الملك ورسول هو الملكوت والله هو الجبروت، فهذا في اسمه وكيف بمسماه أو تقول فكيف بحقيقته، فمن عرف الحقيقة المحمدية استغنى بنظره عما سواه "[4].

6. الحقيقة المحمدية وعالم الإيجاد:

تذهب الأطروحة العرفانية في مسألة الإيجاد إلى تبني حقيقة التجلي لا الفيض بالمعنى الفلسفي، وهذا موضوع يقع فيه الكثير في الخطأ ظنا منهم أن التصوف ينحو منحى الأفلاطونية المحدثة أو ينحو منحى الإشراقية، فشتان بين رؤية تتخذ العقل والنظر سبيلا في المعرفة وبين رؤية تجعل من ذهاب النفس وفناءها وفناء ما تحمله من قوى سبيلا إلى المعرفة. لأننا ممن يميز بين الطرح الصوفي في الإيجاد وبين الطرح الفلسفي له،

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، ص 332..
[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص 26.
[3] عبد الكريم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، ص 42.
[4] أحمد بن مصطفى العلاوي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، ص 333.

ذلك أن الإيجاد في التصوف يحكمه مبدأ الظهور والبطون للحقيقة الواحدة كما أنه يبقي على الوحدانية القاهرة لكل موجود تجعل من العالم ظلا للحق تعالى ولا وجود له في الخارج بل هو مجرد شعور سرعان ما يزول بقليل من التأمل، بينما في الفلسفة الإيجاد يخضع لمبأ الفيض القائل بانفصال الموجودات عن مبدئها مشكلة حقائق خارجية، وقد صنف العارفون بالله الطرح الفلسفي ويضاف إليه الطرح الكلامي تصنيفا يدمجهم مع الفكر العامي لأن المعرفة عندهم مدخولة بالحس حتى وإن ادعوا التنزه عنه وادعوا التجرد، فالحس أو لنقل العادة ترينا انفصال الأشياء واستقلالها في الفعل وفي الوجود، بينما الحقيقة في طور غير طور الحس والفكر تكشف عن عدمية هذه الكثرة وسلطان الوحدة الساري في الكل، وإذا جئنا إلى الحقيقة المحمدية باعتبارها أول صادر عن المبدأ فهي تحتل موقعا برزخيا ظامنا لوجود ما سواها أو لنقل لتعين الوجود في مراتبه النازلة، فهي نور الله المشبه، لا المنزه الذي أضاء ظلمة الكون أو لنقل رفع عتمة العدم عن الأكوان، "مثل نوره المتنزل به، المسمى بمحمد(ص) المضاف لذلك النور المجرد، كمشكاة فيها مصباح من سر الله، للزوم قيوميته بكل جوهر وعرض"[1]. فكانت نورانية الحقيقة المحمدية حجابا على النور المجرد الذي لا يمكن ظهوره وبالتالي إدراكه فنستطيع أن نعتبر الحقيقة المحمدية هي الظهور الجمالي، "محمد(ص) مظهر الجمال ومنتهى الكمال"[2]، الساتر لجلال الحق تعالى، وهو صلى الله عليه وآله عين الرحمة التي سترت غضبه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/ 107)، " والرحمة العامة هي حقيقة محمد (ص)، بها رحم الله تعالى حقائق الأشياء كلها، فظهر كل شيء في مرتبته من الوجود، وبها استعدت قوابل الموجودات لقبول الفيض والجود. فلذلك أول ما خلق الله روح محمد (ص). . . فخلق منه العرش، والكرسي، وسائر العلويات والسفليات لتكون مرحومة به. . . لأن العالم على نسخة الحبيب والحبيب مرحوم. فحكم الرحمة في الوجود لازم وحكم الغضب عارض"[3].

والحجاب بهذا الاعتبار يحمل دلالتين متضادتين، فهو من جهة مانع أن يصل هذا النور المجرد لأن في امتداده حرق لكل ما يصل إليه فلا مجال لثبوت الكون بامتداد هذا النور المجرد، فحجابية الحقيقة المحمدية من هذه الجهة سبب لثبوت الكون لأنه كما

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص 24.

[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط3، 1994، ص 13 -14.

[3] عبد الكريم الجيلي، الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 17 – 18.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

ورد في الصلاة المشيشية:" فلا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط"، والموسوط هو الخلق، لأنه لا قيام للحادث في وجود وظهور القديم، "إذا تلاقى الحادث والقديم تلاشى الحادث وبقي القديم"[1]، وهذه هي حقيقة الأمر. ومن جهة أخرى فإن الدلالة الثانية للحجاب هي كونه بابا على النور المجرد موصل إليه كل طالب من خلال ستر ضعفه وتقوية استعداده لاحتمال قهر نوره، "فبسبب ظهور النور الإضافي، احتجب المجرد ولا يرى النور إلا في النور، ولا يدرك البطون إلا في الظهور قال(ص): **من رآني فقد رأى الحق**، أي من عرفني فقد عرف الحق، ولا يعني برؤيته الذات المسماة بمحمد بن عبد الله بل يومئ لحقيقته المتدفقة من بحار عظمة الذات لأنها محل ظهوره تعالى""[2]. فنورانية الحقيقة المحمدية تتكفل بالتوسط لإيجاد الكون عاليه وسافله بعد أن قدره الحق تعالى في علمه، "قدر خلقهم في سابق علمه، ثم أفرغ عليهم من وجوده. . . ومحصل الإشارة أن جميع ما تدفق من الفيض الأقدس، المتنوع بالمعنى والحس، أساسه النور المحمدي. ومنه تشعبت سائر الأنوار التي من بعضها السموات والأرض، ولا نستبعد ما نراه من صلابة الحس، أن يكون ذلك بعضا من شعاع حضرة القدس"[3].

لذلك كانت علة وجود العالم، وبهذا الاعتبار يطلقون عليها الحق المخلوق به، ذلك أن أول ما فاض على الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية من قبل الأسماء الإلهية كانت الحقيقة المحمدية والتي منها تلقت جميع الأعيان حكم نور الوجود، "وذلك أن الحق تعالى أفاض على أعيان المكونات نور الحقيقة المحمدية فظهرت بسبب ذلك الفيض جميع المحسوسات، ولولا ذلك الفيض وسريان تلك الحقيقة في الموجودات، ما ظهر موجود أصلا إذ هي روحه لكونها هي المقومة لجميع الأشياء، وهذه الحقيقة هي التي يعبرون عنها بالتعين الأول وهي غاية ما يصل إليه الواصلون من كمل الرجال"[4].

---

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، المواد الغيثية، ج2، ص 117.

[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص26.

[3] المصدر نفسه، ص 25.

[4] أحمد بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري، نثر الدرر وبسطه في بيان كون العلم نقطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص11.

7. الحقيقة المحمدية وخاتمية النبوة والرسالة:

يخطئ الكثير خاصة من علماء الكلام أن خاتمية الرسالة المحمدية بمثابة إلغاء للأديان السابقة وكل تعبد لله تعالى، بناء على مقولة النسخ وإبطال التحريفات في الأديان السابقة، وقد يقعون في التناقض عندما يقرون بالختم جاعلين منه تعطيلا لجهود الأنبياء والرسل السابقين بعد ظهور رسالة الإسلام بينما في الطرح الصوفي تفهم الخاتمية بمعنى تمام دائرة النبوة والرسالة بظهور بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكون رسالته هي الموجودة أولا وآخرا تسترت في الأمم السابقة بأسماء الأنبياء الذين بدورهم هم ممثلوا الحقيقة المحمدية ومظاهر محمد عليه الصلاة والسلام وهو باطنهم، ويغفلون كثيرا وجود النبي صلى الله عليه آله وسلم وحضوره الفعلي والواقعي، وعندما ظهر لم يلغهم وإنما اسبطنهم ومسألة الظهور والبطون تختلف تماما في التفسير عن النسخ بالمعنى الكلامي والفقهي. "وبما قررناه نتوصل لمعنى خاتم النبوءة، ويشمله صلى الله عليه وآله وسلم من وجهين: الوجه الأول: أنه النقطة الجامعة بين طرفي حلقة الخاتم حسبما تقدم. الوجه الثاني: إنه الخاتم بتمامه. وقد تقدم أن النبوءة واحدة وهو حقيقتها، فكان خاتم النبوءة بكل اعتبار. وقد تقدم أن حقيقة النبوءة الروح الأعظم المتكفل بالإنباء عن الله، لا خصوص الجسم المشهود للعموم"[1].

ذلك أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يخل منه زمان ولا مكان وهذا يدخل ضمن حجة الله البالغة فهو حقيقة حجته البالغة ما دام هو الاخذ بعهد الميثاق وأول من أجاب الحق تعالى **يوم ألست**، "وبمناسبة اختصاصه بالإنباء عن الله من أول الفيض الأقدس، تكون روحه الكريمة هي الاخذة للميثاق عن عموم الأرواح يوم (ألست بربكم/ الأعراف 172). لأن الواسطة في كل تبليغ، وإلا فما فائدة تقدم نبوءته"[2].

أما الحقيقة المحمدية من جهة الهداية التكوينية والتشريعية، فيذهب الشيخ العلاوي إلى ربطها بالولاية والنبوة، إذ محلها من الولاية محل التقاء آخر نقطة من خط الدائرة بأول نقطة بدايتها فهي بمقام فص الخاتم من الخاتم، وتمام دائرة الولاية، والأمر نفسه في مجال النبوة بحيث شرّعت نبوة كل نبي قبل محمد (ص) بمعرفته والإقرار به كما ورد في القرآن الكريم، لذلك ففي مقام تفسير الشيخ العلاوي للحديث الذي يستعرض حالة الفرقة التي تشهدها الأمة المحمدية، بحيث تتفرق على بضع

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص 30.

[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص ص 30- 31.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة هي الناجية، فالفرق الضالة وفق تفسير الشيخ العلاوي، هي جميع الفرق التي ضلت قبل بعثته ويضاف إليها المكذبون به أثناء بعثته، مما يشير إلى أن أمة محمد فيها ما هو ظاهر وهي التي عايشت فترة بعثته العنصرية، ويضاف إليها الأمم السابقة على ظهوره بحيث قد نصطلح عليها بأمته الباطنة، لأن نبوته كانت سارية في الأمم السابقة، لأن النبي محمد (ص) أصل نبوة كل نبي وهو حاضر ورسالته حاضرة في رسالة وبعثة كل نبي. فالنبوة في الحقيقة هي نبوته بناء على ما يرويه العارفون بالله عن النبي (ص)، أنه قال: "**كنت نبيا وآدم بين الماء والطين**"، "وقد تقدم لنا أنها (أي النبوة) واحدة متألفة من نقاط متواصلة ببعضها، ومنتهى الدائرة غير مبتداها، وحقيقتها الروح الأعظم المتكفل بالإنباء عن الله، وليس هو إلا النفس المحمدي والروح الأبدي المنفوخ منه في آدم، فهو أول نقط الدائرة. . . فالنبوءة لمحمد (ص) حقيقة في أي نقطة من نقطها ظهرت لما تقدم أنها واحدة وإن تسمت باسمي فمن نظر الدائرة بعد تواصل الأطراف قال لا نفرق"[1]، بهذا الاعتبار الحقيقة المحمدية هي العقل الأول والقلم الأعلى، "العقل الأول هو القلم الأعلى. . . القلم هو الروح المحمدي. . . العقل والقلم والروح المحمدي عبارة عن شيء واحد قد أودع الله تعالى جميع العلوم في العقل الأول، وإن شئت قلت في القلم الأعلى، وإن شئت قلت في الروح المحمدي"[2].

فعلّة تحصيل المعرفة الكاملة بالله هي اقتفاء أثره (ص) شريعة وحقيقة والتشدد في ذلك مع الأدب التام مع مقامه الكريم وهو الذي حرص عليه العارفون بالله عبر التاريخ رغم النعوت والطعون التي وجهت إليهم من خصومهم فوصفوهم بالغلاة عندما يطالعون توصيفهم لمقام الرسول الكريم أو الحقيقة المحمدية، ووصفوهم بالقالين في نظرهم لسلوكهم الظاهري، بحيث اعتبروهم منتهكين لعرى الشريعة والأمر على خلاف ما ذهب إليه هؤلاء الخصوم.

للتنبيه، فإن الصوفية نظرا للوصلة التي جاهدوا في تحصيلها معه (ص) حصلوها ولم يغب عنهم نوره مع الاعتقاد بغياب شبحه (ص) بل يصل الأمر إلى التحقق بنوره وتمثيله في أمته يقول الشيخ العلاوي: "اعلم أن المبلغ الحقيقي الآن، وقبل الآن وبعد

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص 29.
[2] عبد الكريم الجيلي،مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، ص 47.

الآن، ليس هو إلا محمد (ص)، فنوره الكامن في خلفائه هو الذي يسمع النداء المختص به"[1].

يذهب أهل العرفان إلى موقف أكثر شمولا في مسألة التدين والتعبد بحيث يجعلون الحقيقة المحمدية من جهة التعبد حقيقة كل عبادة ومتعبد أو متدين، وهذه فكرة تندرج ضمن ما يصطلح عليه في أدبيات حوار الأديان، وحدة الأديان، وقد وردت بشكل جلي في كتابات سيدي محيي الدين ابن عربي وتبناها بعض الصوفية في نصوصهم على أن الدين الذي يتوجه به الناس إلى الله هو واحد وإن اختلف فهو في الظاهر فقط على أن العارف الكامل هو من يدين بجميع الأديان ويرى وجه الحق فيها جميعها لأن الباطل لا وجود له ولا حقيقة له ليس هناك وجود إلا وجود الحق، فهذا ابن عربي الذي تبلورت على يديه هذه العقيدة، يرى أن العارف المكمل هو من نظر إلى كل معبود على أنه مجلى واحد يعبده دون بقية المجالي " ولذلك سموه كلهم إلها مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان، أو كوكب، أو فلك، هذا اسم الشخصية فيه، والألوهية مرتبة معبوده، وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في المجلى المختص، ولهذا قال بعض من عرف مقالة جهالة (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) مع تسميتهم إياهم آلهة. . . فإنهم وقفوا مع كثرة الصور ونسبة الألوهة لها "[2]. على أن العيب في اعتقاد المبطلين ليس هو تعبدهم لهذه الصور التي تنعت بالأوثان وإنما حصرهم معبودهم في هذه الصور وإنكارهم للصور الأخرى التي يتجلى بها تعالى فلذلك لا يعبد الحق على الحقيقة إلا العارف لأنه جمع في تعبده كل الصور فالله عنده لا يتقيد في صورة أو مجوعة صور كأن تكون أوثانا حسية أو مجردة كما هو الشأن عند أصحاب النظر العقلي الذين يعتقدون أن عبادتهم هي العبادة الصحيحة لأنهم أحسنوا حين نزهوه عن الشبيه فهو ليس كمثله شيء بفهمهم، فحتى هؤلاء – حسب العرفاء – قد قيدوه وأخرجوه من الكون فكان مجرد إله معزول عن خلقه بينما هو مع الأشياء، كما يعتقد، العرفاء هو عين الأشياء جميعها فمن لم يره في الأشياء جميعها لم يعبده حق العبادة، " فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر ما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك " هيولى " لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، ج1، ص29.

[2] ابن عربي، فصوص الحكم مع تعليقات أبي العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت) ج1، ص ص95-96.

الإيداع القانوني: 6111- 2014 / ISSN : 2353 – 0030

عقد، فالكل مصيب وكل مصيب مأجور وكل مأجور سعيد مرضي عنه "[1] إذن شأن العابد الكامل أن يكون، كما قال الشيخ محيي الدين ابن عربي، أن يكون هيولى جميع صور الاعتقادات فهو يقبل جميع ما يعتقده الناس، ويكون في حقه حقا وفي حق غيره باطلا ووجه البطلان عند الغير هو حصرهم لإلههم في صورة أو مجموعة من الصور دون الكل فالله تعالى مطلق لا تقيده صور دون أخرى وهو الجامع للكل لأنه واسع فيسع كل المجالى ولا تسعه الصور، ومن هنا لم يقع العارف فيما وقع فيه غيره من العابدين والمتدينين،يقول الشيخ محيي الدين:

"لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	***	إذ لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلا كل صورة	***	فمرعى لغزلان ودير رهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	***	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	***	ركائبه فالحب ديني وإيماني "[2]

فالصوفي قبل التحقيق يكون شأنه شأن عامة المتدينين يرى عقيدته في صورة الحق وما عداها من العقائد فهو باطل وبالتالي كفر يجب البراءة منه، وعلى هذا المنوال المتكلمون واللاهوتيون الذين تفرقوا إلى فرق شتى وملل متصارعة ومتنازعة كل ملة أو نحلة تكفر الأخرى وتعتقد أن ما هي عليه هو الحق وما عدا ذلك فهو الباطل، أما إذا تحقق الصوفي وشهد الأمر على ما هو عليه، فلا يصير يشهد إلا الحق، وبالتالي ما يظهر من صور التعبد عند الملل والنحل الأخرى فيه وجه الحق وهو الذي يدين به العارف وفيه وجه الباطل الذي توهمه أهل هذه الملل والنحل:

"عقد الخلائق في الإله عقائدا	***	وأن شهدت جميع ما اعتقدوه
لما بدا لهم صورا متحولا	***	قالوا بما شهدوا وما جحدوه "[3]

مرجع هذا الاعتقاد إلى مبدأ المحبة وهو المبدأ الوجودي الساري في الوجود ما دام الوجود كله هو فيض محبته تعالى، ولوجود المناسبة بين المحبة والحبيب عليه الصلاة والسلام بل كما ورد في أحدى الروايات عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه عين الرحمة، وبهذه الحمانية والمحبة كان إما كل متدين بأي دين تمثل وهنا الشيخ العلاوي ينبه إلى صعوبة تصور المسألة وضرورة تحقق شرطها المتمثل في التعليم الإلهي لا التعليم الفكري، "قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾. يس: 12. ولا إمام أبين وأحق

[1] المصدر نفسه، ص113.

[2] ابن عربي، ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، تحقيق، محمد عبد الرحمن نجم الدين الكردي، القاهرة، 1969، ص ص 49-50.

[3] ابن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، (دون تاريخ)، ج3، ص 175

بالإمامة منه، وعموم إشارة العارفين تومئ إلى انطواء الأشياء جميعا، واندراجها في حقيقته، ولكن الفكر ينبو عن ذلك بدون تدبر فيما هنالك، ومن أخذ الله بيده، وأطلعه على الفرع من اصله، يجد الأشياء بجميع أفرادها منحصرة في الحقيقة المحمدية انحصارا كليا، فيكون هو المتعبد بسائر أنواع العبادات والقربات بهذا الاعتبار، والإيمان بذلك متيسر، والنظر متعسر من جهة ما يعارضه من أنواع المخالفة المشهودة في أفراد العالم، إلا بعد الاستخدام، والنظر السديد، عسى أن يتضح لديه"[1].

خاتمة:

تظهر قيمة عرفان الشيخ العلاوي، للحقيقة المحمدية، في إحاطته بتفاصيل هذه الحقيقة كما عرضها سابقوه من كبار العارفين أمثال محيي الدين ابن العربي والشيخ الجيلي والأمير عبد القادر الجزائري، وغيرهم، فهو استثمر هذا المقام سلوكيا بالدرجة الأولى حيث استطاع تكوين عارفين وعرفهم به تربية، وعزز في مريديه عشق هذا المقام وتذوقه، ولعل كتابات تلميذه الشيخ عدة بن تونس والشيخ المدني وعموما انتشار تعاليمه من خلال أشعاره المتغنية بهذا المقام في الطريقة الدرقاوية والطرائق الصوفية الأخرى عبر جغرافيا العالم. بل وصل الشيخ العلاوي إلى حالة الدلال على المقام المحمدي وقد جلب عليه هذا التعمق عداوة وخصومة بل وتكفيرا من قبل خصومه. كما أن تفاصيل هذا المقام التي انعكست في كتابات الشيخ العلاوي لا تخرج عن تعاليم كبار الصوفية، وما دامت المعارف الصوفية لا يمكن اقتباسها ولا حفظها في الذاكرة أو مطالعتها، بمعنى هي ذوقية بحيث لا يمكن لأي شيخ يحكي عن مقام او مرتبة لم يتحقق بها وإلا فهو مدع وكاذب وجاهل، وبالتالي لا يمكن إلا الحديث عن اصالة عرفانية للشيخ العلاوي في هذا الباب وهو التحقق بالمقام المحمدي والكشف عن حقيقته: الحقيقة المحمدية.

مضمون المتن يعكس العنوان المقترح من طرف الباحث، ويعرض فيه مختلف مراحل بحثه بشكل منهجي ومنطقي حسب ما يتطلبه العنوان. مضمون المتن يعكس العنوان المقترح من

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ص ص 31- 32.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، (دون تاريخ)، ج3
2. ابن عربي، ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، تحقيق، محمد عبد الرحمن نجم الدين الكردي، القاهرة، 1969
3. ابن عربي، فصوص الحكم مع تعليقات أبي العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت) ج1.
4. أحمد بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري، نثر الدرر وبسطه في بيان كون العلم نقطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004
5. أحمد بن مصطفى العلاوي، أحمد بن مصطفى العلاوي، منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن، المطبعة العلاوية في مستغانم، ط5، 1997
6. أحمد بن مصطفى العلاوي، البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، ط2، 1995، ج1
7. أحمد بن مصطفى العلاوي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط2، 1998
8. أحمد بن مصطفى العلاوي، المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية،ج 1، 1989
9. أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط3، 1991
10. أحمد بن مصطفى العلاوي، دوحة الأسرار،، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط3، 1991
11. أحمد بن مصطفى العلاوي، مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط3، 1994
12. الحلاج، حسين ابن منصور، ديوان الحلاج ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998
13. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1999
14. شودكيفيتش، علي، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، ترجمة: أحمد الطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2004.
15. عبد الحق الكتاني، المحب المحبوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006
16. عبد الكريم الجيلي، الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004
17. عبد الكريم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004
18. عبد الكريم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004
19. غلام حسين الإبراهيمي الديناني، إشراق الفكر والشهود في فلسفة السهروردي، دار الهادي، بيروت، ط1، 2005